فؤاد اغبارية – ذاكرة مرئية

للمكان وجهان

على التلَّة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة المشرفة على المدخل الرَّئيسي المكتظّ بحركة مرور وازدحام يشقّ المباني التجاريَّة والسكنيَّة، يقبع الحيُّ السَّكنيُّ الجديد على جبل »قحاوش «، وحدات سكنيَّة جديدة بعضها في طور البناء والإنشاء .في هذا الحي الجديد يسكن منذ مدَّةٍ غير طويلة الفنّان فؤاد إغباريَّة وعائلته الصَّغيرة، في بيته الحديث وفي الطابق الأوَّل المرتفع عن الأرض، يطلُّ مرسمُه المتواضع الحجم مكتظًّا يعكس فوضى »الكتل « التي هي عبارة عن لوحات موزَّعة في فضاء »المرسم « كما أسمّيه أنا، والُحمتَرَف كما يسمّونه زملاؤنا في الأردُنّ .اللَّوحات المعروضة لا تترك لك المجال إلاّ أن تكون مشدوهًا بصريًّا ومتابعًا لما تحتويه اللَّوحات من مواضيع لمشاهد من الحيِّز غير البعيد كتلك الهضبة المشرفة على مداخل وادي عارة غربًا، وعلى قراها مثل: مصمص، وعين إبراهيم، ومشيرفة وسهل الرّوحة، المرتبطة ارتباطًا عضويًّا بأمّ الفحم، تلك المدينة التي نالت هذا اللَّقب في أواخر سبعينات

القرن الماضي.

مصمص كمثال

عند مشاهدة الأعمال المرسومة على القماش والمتناثر في فضاء المكان –المرسم -تشدُّ النّاظر المتلقّي موضوعات تناولها إغباريَّة من وحي قريته مصمص التي ولد فيها ومنها استلهم عالم طفولته في جدران الصّبّار، والبيت القديم، وعبق الزَّعتر وحقول الكرسنَّة، وشخوص الجدّ والجدّة، وقطعان الأبقار والأغنام في مواسم الحصاد، وحقول أشجار الزَّيتون(فؤاد إغباريَّة، السّيرة الذاتيَّة .)تلك المواضيع وغيرها من الاجتهادات الجادَّة في إعادة قولبة الزَّخرفة، وتمارين بالفحم والرَّصاص، وطباعات ليتوغرافية هي من الفترات الدِّراسيَّة في كليَّة الفنون الجميلة بتصلئيل التي التحق بها في عام 2000 ودرس فيها حتّى. 2004

Fuad 6

إنّنا ندرك خلال استعراض الأعمال، المستوحى أكثرها من أجواء الرّيف، ذلك العشق الذي يربط فنّاننا مع بيئته التي توحى أنّنا أمام مشاهد نشتمُّ منها روائح المكان الذي تنبعث منه رائحة الزَّعتر والكمّون والتَّوابل التي لم تفارق ذلك الوادي منذ الأزل .إنَّ استحضار المكان في أعمال فؤاد قد دفعني إلى استحضار زمن الحكم العسكري في الخمسينات والستّينات من القرن الماضي حين فُرِض نظام التَّصاريح وتضييق سُبُل التَّطوُّر والتقدُّم في قرى وادي عارة، والمناطق العربيَّة الأخرى في البلاد.

جال في خاطري أثناء الحوار المرئيّ والمسموع مع لوحاته ما نقله من أحاديث والده وجدّه، والمسوَّدات التي كتبها الفنّان عن نفسه وعن قريته مصمص تذكار الذّاكرة مع الشّاعر الرّاحل ابن مصمص خالد الذّكر الشّاعر راشد حسين الذي كان يتنقَّل هو أيضًا وفق نظام حكم التَّصاريح إلى مكان عمله في تلّ أبيب، حيث كان يعمل محرِّرًا في إحدى المجلات باللّغة العربيَّة .كان ذلك مقهى »كاسيت « الذي كنّا نسعد فيه بصحبة الزُّملاء محمود وسميح وسالم ويوسف حمدان وكتّاب وشُعراء وفنّانين يهود

تقدُّميين كان لهم الدَّور الكبير في صقل ثقافتنا الوطنيَّة والإنسانيَّة.

كان ذلك قبل سفري إلى ألمانيا لدراسة الفنون في مدينة دريسدن، في تلك السَّنوات أزيل الحكم العسكري بالتّدريج إلى أن ألغي تمامًا .إنَّ ما كتبه الشّاعر الرّاحل راشد حسين وما صوَّره فؤاد إغباريَّة

ووليد أبو شقرة ومثقّفون آخرون ما هو إلا إصرار إنسانيّ على التَّحدّي ومصارعة التَّجهيل في سبيل مستقبل أفضل لسكّان وادي عارة والجليل والنَّقب واستمرار وجود الأقليَّة العربيَّة في البلاد.

مراحل انتقاليَّة في السّيرة الفنّيَّة

استعراض الأعمال الفنيَّة المنتجة في فترة زمنيَّة تعدّ قصيرة نوعًا ما إذ تمتدُّ بين الأعوام – 2000 وحتى اليوم 2012 ، يقودنا إلى التّعرُّف على ثلاث مراحل أساسيَّة في مسيرة فؤاد الفنيَّة، هي:

فترة الدِّراسة التي يحاول فيها الفنان الشابّ أن يقوم ب «التّفكيك والتَّركيب من جديد « أو ما يسمّيه هو ب «التَّوسيخ والتَّنظيف « كما هي الحال في طفولته حينما كان يفكّك القطار إلى قطعٍ صغيره كي يعيد بناءها من جديد: »أن أمسح الوجه القبيح من السّناج وأن أبيّنِ التناقض بين القبح والجمال، بين الأسود الحالك والأبيض النّاصع في عمليَّة جدليَّة، تلك هي إذًا محاولة يصبو لها شاب يدخل الى عالم الأكاديمية العبريَّة التي أنشأها في القدس في مطلع القرن الماضي بوريس شاتس القادم من أواسط أوروبا، وفيها يحاول الفنّان أيضًا طرح رموز ثقافة موروثة في تُجلّ مذاهب وذائقة قد تكون بعيدة عنه وعن تصوُّره لثنائيَّة القبح والجمال وطرح حُلول لها

[كتالوج معرض (ذاكرة مرئية)]

.

يشيرُ الناقد المصري محسن محمَّد عطيَّة في كتابه الفنّ وعالم الرَّمز إلى دراسة الناقد جليفورد في موضوع علم النَّفس وغوامض ظاهرة الإبداع في الفنّ، فيقول: »ذلك هو في القدرة على التَّحليل Fuad 7والتَّأليف، إنَّه يعني الميل إلى تفكيك مركّبات قائمة بالفعل، وتحويلها إلى وحدات أبسط يمكن إعادة تنظيمها، يعني أيضًا التَّنظيم بطريقة جديدة للمحرِّكات المُتاحة سواء في الواقع أو على مستوى التَّصوُّر الذِّهني في عُرف أصحاب نظريَّة »الجشتالت « الاستعراض الهيكلي –إنَّ من شأن هذا العمل تحقيق التَّوازن وتخفيف مقدار التَّوتُّر الذي يصاحب العمليَّة الإبداعيَّة. «

فترة بناء الموقف واستعادة ما تبقّى:

يقول إغباريَّة في استعراض لأعماله ضمن اجتهادات كتابيَّة: »في أعمالي الأخيرة، هناك عودة إلى تحوُّل نمطيّ تعتني باختيار خامات وموادّ الرَّسم بطريقة واقعيَّة نوعًا ما..الأعمال الحديثة تتمحور حول المكان وأبعاده، محاولة منّي لاسترجاع المكان وإدراجه في الحاضر القائم بإيحاءات ما زالت حيَّة تمتحُ من ذلك المكان «، وهو ما يتطابق مع محاولات وأفكار خجولة طرحت على مساحات بعض اللَّوحات، كموتيفات تتعلَّق بطفولته في قرية مصمص ومنها دروب الصَّبّار والجُدران الآيلة للسُّقوط، والبيوت العتيقة، وقطعان الماشية تعاد صياغتها كلّها في بناء وتصميم جديد وهو ما ندعوه باللُّغة الألمانيّة »جشتالت «، كلّ ذلك ضمن نهج مدرك لعمليَّة التفكيك والتَّركيب بأسلوبٍ مميَّز.

يخلص الناقد ناتان نوبلر في كتابه حوار الرّؤية إلى مقولة مفادها: »الحقّ أنّ الفنّان الذي يؤمن بأنّه يفتح حوارًا أثناء سعيه في عمله نحو الكمال إ أَمن يحاور في الواقع نفسه، لكنَّ هذا لا يغيِّر من حقيقة أنَّ الحوار يظهر فعلاً بين شريكين فعّالين .إنَّ إنتاج العمل الفنّي هو عمليَّة ديناميَّة حيث يعمل الفنّان، ومن ثمَّ يستجيب لنتيجة عمله خلال تقدُّمه نحو الخطوة التَّالية في تعاقُب يؤدّي في نهاية المطاف إلى العمل المنجز . «

إن البناء التَّكويني تصحبه كذلك صياغة لونيَّة استبعدت فيها منظومة الألوان الدّاكنة »لونيّات التمبرا « المستعارة من صُور القدّيسين في أيقونات القرن الثّالث عشر ليحلّ محلّها الأصفر الحارّ والمتفائل، والعودة إلى ملء الفراغ بكثافة النُّقط والمشحات اللَّونية لعمليَّة بناء الكُتل والفضاء المشترك، نجد في لوحات فؤاد هذه حضورًا لروح فان جوخ الثّائرة التي تجسَّمت في لوحاته في أرياف آرل الفرنسيَّة، وحضورًا آخر للطَّلائعيّين من الحقبة المتأخِّرة للانطباعيَّة، أولئك الذين رسَّخوا إبداعاتهم تمهيدًا لأجيال قادمة.

وجهان في المرآة:

خلال مُتابعتي لمسيرة الفنّان إغباريَّة التي تحتلّ مدَّة زمنيَّة مقدارها 12 عامًا تخلَّلتها فترة زمنيَّة غير مستغلَّة يحاور فيها الفنّان نفسه ويحاور فيها مجتمعًا يعيش فيه محاولاً التَّوفيق بين كونه مبدعًا (بدون راتب)وبين مجتمع يحمل أعباء عالمه في سعيه نحو لقمة العيش والحياة الكريمة .يقول فؤاد

في تعليقه على سؤال وجّهته له مجلّة الصبّار في مقابلة مع النّقابي الفنّان داني سمحون: »لا يوجد في المجتمع العربي اليوم مؤسّسة بإمكانها أن تشغّلني كفنّان أو تدعمني ماديًّا كي أتفرغ لعملي، لذلك اضطررت لأن أدرس الفنون وأموّل تعليمي الجامعي .خلال السّنوات الأربع التي قضيتها في القدس، درّستُ في حيّ الجواريش بالرّملة، وفي قرية العيساويّة بالقدس الشّرقيّة وفي أبو غوش. لقد منحتني كليّة بتصلئيل اللّقب الجامعي، لكنّني كنت مضطرًا أن أكمل تعليمي للحصول على شهادة تعليم رسميّة، لكنّ ذلك لم يتوفّر لي لأسباب ماديّة. «

تلك الأقوال لم تخرج عن السّياق الذي يطرحه الفنان ويطرحه كادر فنّي من جيل الشّباب الذين على الرّغم ممّا قد تؤول إليه أوضاعه من حيث السّوء فتغدو أكثر بؤسًا لم يتوقّف عن تناول مجالات الفنّ المرئي، وتجربة المسرح والسّينما، والإخراج، والعزف، والغناء، إنّ هذا الإصرار يدعو إلى التّفاؤل العنيد والجريء مقارنه بما سبقه من جيل كان همّه الأوّل البقاء وضمان لقمة عيشه كأقليّة مهزومة تقبع تحت سياسة التّجهيل التي تمارسها السّلطة، كلّ هذه الممارسات لم تحُل دون خلق مبدعين من نوعيّة مميّزة.

عندما جعلني الزّميل سعيد أبو شقرة مدير صالة العرض في أم الفحم أمينًا لمعرض فؤاد جرت بيننا لقاءات تمهيديّة استعرضت خلالها مجمل الأعمال المنجزة حتّى اليوم التي تب الجهد الكبير المبذول، وتنوُّع أساليب العرض والمواضيع التي تناولها الفنّان، وقد استرعت واحدة من أعمال الفنان انتباهي وفيها حضور لوجه الفنّان »بورتريه « بحجمٍ كبير على قماش وبألوان الأكريلك التي غطّيت لاحقًا بطبقات من الألوان الزّيتيّة إلى جانب لوحة البورتريه، وهناك لوحات الصبّار وجدران البيوت القديمة يعاود الرسّام صياغتها هي الأخرى بمعالجات لونيّة خارجة عن التألُّق التّقليدي السّائد بما نعرفه بالمناجاة وهي نوستالجيا تدغدغ الخيال لكنّها لا تستصرخ الوجدان.

قد تكون المواضيع المطروحة كتشكيلة نوعيّة في الواقع تعبيرًا عن حالة مزاجيّة متداخلة في صراعات معيشيّة، لكنّها كلّها أداة في مواجهة تحدّيات من جهات مختلفة »في الأعمال الجديدة سوف أروي أبعاد المعاناة التي أعيشها، بما في ذلك البعد الجماعي، مع تحليل ذاتي قدر الإمكان، كي يكون عملي الفنّي وثيق الصّلة بمجتمعي وقضاياه. «

عبد عابدي

حيفا، آب__2012

ذاكرة مرئية
فؤاد إغبارية

كتالوج معرض (ذاكرة مرئية)

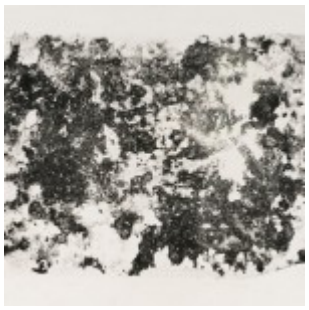

EVERY ONE HAS A NAME

فؤاد إغباريّة
סרין חוותי מאר אכבאריה

اكرة مرئية
שריד חזותי

كتالوج معرض (ذاكرة مرئية)

ذاكرة مرئية
חרין החזותי

Designed by MySchool | Powered by MySchool